رحيل الأديب جان كميد



الأديب الراحل جان كميد

لرحيل الأديب الكبير جان كميد وقع اليم في نفوس جميع الذين عرفوه وأحبوه.

كان نشيطاً إلى ابعد حدّ من النشاط على الرغم من هدوئه الظاهر. فلم يكن بهدأ عن العمل والكتابة وكانه انكر أن لجسده الحق في التمتع باقساط الراحة.

تميّز نشاطه الهادئ الهادي الرائع بتفكير عميق منتسق. وكان محبّاً للآخرين ومحبته هذه روحية متجردة خيّرة. وقد حملته محبته على الاهتمام بأسرته النموذجية فتجلّى مثالاً حيّاً لها وللمقربين في كل تصرفاته.

عرفته مستسلماً لمشيئة الله، قنوعاً، صبوراً، لا يتذمّر ولا يتململ. وهذا لا يعني انه كان كسولاً، اتكالياً. تجلّى في عمل دؤوب حتى الإرهاق.

لم يبرّ سائلاً ولم يجرح او يؤذي ملتمساً. ولم يكتز لنفسه «كنوزاً على الأرض حيث العث والصدأ يتلفان، وحيث اللصوص ينقبون ويسرقون»، بل اكتنز لنفسه في السماء «وديعا الخلود حيث لا يتلف عث ولا صدأ، وحيث لا ينقب لصوص ولا يسرقون».

عاش معطاء في روحه وادبه المتعدّد الأوجه، وفي صبره وجلده على سماع الآخرين والإصغاء اليهم. ليبتسم جرحاً وينشط نفساً ويسير إلى جنب متقاعس متردّد، لا يخاصم ولا يصيح، ولا يسمع احد صوته في الساحات العامة. لا تكسر القصبة المرضوضة، ولا يطفئ الفتيلة المدخنة، إلى ان يقود الحق إلى الغلبة.

من طرق باب منزله في الحارة التي فُتحت من صخر (حارة صخر/ جونيه)، وعاد مرذولاً، مخجولاً من سالة حاجة أدبية او سواها وعاد صفر اليدين؛ من دخل مكتبه في بيت الشعب ببعدا حزيناً، كئيباً، يائساً، ولم يخرج فرحاً مرتاحاً وقد روي من طمأنينة قلبه وبسمة ثغره واشعاع محيّاه.

تجلّى اديباً خطيباً، مطلعاً على آفاق الكتب والتيارات الفكرية والعلمية. قرا وترجم ودبّج المقالات النقدية في غير مجلة...

لم يلتو له عود ولم يُمار ولم يُحاب الوجوه.. لم يَهَبْ، على دماثة أخلاقه، أنْ يقول الحقيقة، ويكشف عن الداء يصف له الدواء الناجع بالقول وبالمثل الصالح، فارشد واقنع! ذلك ان الجمل الداخلي والصفاء النفسي والقربى من الله، لا بدّ من أن تنعكس جمالاً ورونقاً وصفاء على ما يصنعه الإنسان.

هذا هو، في اقتضاب المُتَرَيِّث لأسمى القضايا وأنبلها، الذي خسرناه جسديا على الأرض الملوّثة على غير صعيد، وكسبناه شفيعاً ومثالاً لنا في السماء. انه الأخ الأكبر والصديق الصدوق والرفيق الحبيب الذي جاهد الجهاد الحسن، وحفظ الإيمان، خرج من جذور ملؤها التقوى والعلم، فكان أميناً على الوزنات ذا همّة شماء!

ما جئت هنا لأرثي أديباً وناقداً قد مات، وإنما جئت أكرّم الفضائل والمزايا والمناقب والتساميات. وعسى أن تظلّ شريكة حياته الفاضلة نوال بجّاني وسائر الآل على خطاه لطفاً ودعة ونقاءً.

د. جهاد نعمان